العدد ١٠٥، اكتوبر ١٩٩١م، ربيع الاول/ربيع الثاني ١٤١٢هـ

صوت البحرين

فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون

نشرة شهرية تصدرها حركة احرار البحرين الاسلامية

صوت الحركة الاسلامية في البحرين

الاصلاح السياسي المطلوب.. حان وقته

الاصلاح السياسي لا يحتاج الى انتظار طويل، ولا إلى اتصالات ورسائل يفهم من خلالها التسكع والارتماء في الاحضان، ولا يحتاج لوساطات او توقيع تعهدات او شروط مسبقة. فالاصلاح اما انه مطلوب وضروري او لا لزوم له. فاذا لم يلزم عمله فلتطو الصفحة وليستمر الحاكمون في قمع الناس ووطء كراماتهم وممارسة الاستبداد على أشده كما هو حاصل الآن. اما اذا كان الاصلاح ضروريا فمن الخطأ الكبير تأجيله او وضع شروط للقيام به، او المساومة عليه.

ولا نعتقد ان انسانا متحضرا يستطيع ان يناقش في مسألة ضرورة الاصلاح السياسي في منطقة الخليج وخصوصا في البحرين. ورغم تذرع الحاكمين في هذه المنطقة بذرائع شتى لتبرير استمرار حالة القمع والاستبداد السلطوي والهيمنة القبلية، فانهم فشلوا في اقناع احد، حتى اصدقاء، بعدالة كحمهم في هذا العالم المتغير. وكل ما يقولونه هو ان الديمقراطية والوضع الدستوري هما امران يتنافيان مع عادات المنطقة وتقاليدها. وإذا كان هناك حديث عن الحرية اشاروا الى مجلس الأمير العامر واعتبروه منبرا حرا وملجأ لذوي الحاجات. لكنهم لا يتحدثون عن مؤسسات دستورية يتعامل معها المواطنون كل مشاكلهم ونيل حقوقهم.

إن اقوى ما لدى هؤلاء وهم يستمرون في سياساتهم البالية هو الدعم السياسي والعسكري الغربي، وخصوصا الامريكي. ولكن الموقف الامريكي نفسه سيتعرض للاهتزاز اذا استمر في تجاهله لتطلعات الشعوب ومساندته للانظمة القمعية في منطقة الخليج. هذا ما يعرفه المهتمون بالشأن السياسي كاولوية في برنامج عمل الحكام وخصوصا في البحرين. فهناك فساد سياسي حقيقي، قد يعتبره الحاكمون امرا طبيعيا ومقبولا في المجتمع القبلي وغياب القانون الدولي، ولكنه مرفوض في منطقة العصر وسيادة منطق القانون واحترام حقوق الانسان وتشجيع الحريات. والمطالبة بالاصلاح السياسي سيبقى عنوانا للتحركات السياسية للمعارضة في الفترة المقبلة. وإذا كان التاريخ المعاصر يحمل في طياته الكثير من نماذج المعارضة والحركات المطالبة بالاصلاح في البلاد بدون تحقيق نجاحات تذكر، فان هذا البرنامج الاصلاحي سيستمر ولن يستطيع آل خليفة او غيرهم التهرب من الانصياع لمنطق الاصلاح والتمثيل الشعبي وسيادة القانون والتخلي عن الاستبداد واحترام حقوق الناس.

ان وراءنا الآن اكثر من عشرة أعوام من الوضع السياسي المتوتر في البلاد. فخلال هذه الفترة تصاعدت المطالبة بالاصلاح من قبل جيل جديد من الشباب انتشوا بفكرة الثورة واعتقدوا ان الاندفاع الشعبي يكفي لتحقيق الاهداف. وفي المقابل تصاعدت شراسة الحكومة في المواجهة، فمات العديد من شباب البلاد تحت التعذيب او عذب الآلاف وسجن المئات وشردتها اعداد غفيرة من المجاهدين والشرفاء. كان منطق المواجهة هو الذي ساد الجو السياسي، ولم يكن بالامكان طرح ما هو منطقي لحل الأزمة من قبل الجانبين. وكانت ثمة ظروف امنية محلية واقليمية تمنع هدوء الاوضاع والاحتكام الى منطقة العدل. كما كانت هناك عقلية مستبدة تعتقد ان الاستبداد وحده يكفي لإخماد شعلة الثورة الشبابية، ونجحوا في ذلك الى فترة محدودة، ولكنهم يجدون انفسهم اليوم في مازق حقيقي، ومواجهة محتومة مع منطق العالم الجديد.

العالم اليوم لن يقبل استمرار انظمة الاستبداد في العالم. ليس هذا مبدأ امريكيا، بل حالة سياسية عالمية تعتبر ثمرة لصراع الشعوب ضد الاستبداد. فاذا كانت واشنطن تسعى ركوب الموجة وحمل راية الحرية الجديدة، فانها ستجد نفسها عاجزة عن الاستمرار في ذلك لسبب بسيط هو وجود ازدواجية غير معقولة في السياسة الخارجية للقوة الكبرى التي خرجت منتصرة من الحرب الباردة. فما تريد امريكا تحقيقه في دول اوروبا الشرقية وفي كوبا وغيرها من ديمقراطية وحرية، لا ينسجم مع مصالحها المطالبة به في مناطق اخرى مثل منطقة الخليج. هذا التناقض العجيب من شانه ان يقضي على الادعاءات الامريكية بانها تسعى لنظام عالمي جديد تسوده الديمقراطية والعدالة وحرية تقرير المصير واحترام القانون. وبالتالي يمكن القول ان الاتجاه العالمي الجديد، الذي هو ثمرة جهود الشعوب لسنوات طويلة، كفيل بالقضاء على الانظمة المستبدة في الخليج وغيره. وحكام الخليج يدركون ذلك، ولكنهم ما يزالون يحملون عقدة كبيرة في تفكيرهم وهي ان بامكانهم عمل كل ما يريدون باستغلال احوال النفط الهائلة. انهم يجهلون حقيقة مهمة وهي ان منطق التاريخ لا يفهم الازدواجية في المواقف ولا يرحم من يسعى للوقوف بوجه حركة التغيير العالمية.

البقية على صفحة ٤

انتشار افلام الدعارة

الموضة الامريكية في الخليج اصبحت اليوم المثل الذي تروج له مشايخ الخليج، وهذه الموضة تقتصر على بعض جوانب الحياة الامريكية الغربية. وبالتأكيد لا نقصد بذلك جانب الممارسة الديمقراطية او الحريات المدنية. فالامر في هذه الناحية مفروغ منه خصوصا بعد تأكيد الرئيس الامريكي قبل شهرين بان امريكا حررت الكويت ليس من اجل الديمقراطية وانما من اجل اعادة الوضع السابق. نعم عاد الوضع السابق وتركز بصورة ابشع مما كان عليه ولكن لا يمنع هذا ان تستفيد العوائل الحاكمة من جوانب في نمط الحياة الامريكية، وذلك عبر السماح بتداول الافلام الجنسية الخلاعية وعدم معاقبة المتجارين والمروجين. وقد تعدى الامر استيراد الافلام الخلاعية الى الانتاج المحلي تطبيقا لسياسة الاكتفاء الذاتي.

وهذا امر لا بأس به من وجهة النظر الخليفية، ولا بأس بفتح باب «الاختراع» لتطوير هذه المهنة. وهذا ما ادعاه جان الصفر الذي اخرج احد افلام الفيديو من اجل «العلم».

ولتأكيد الوجود الامريكي في البلاد قام وفد من كبار مسؤولي شركة فورد للسيارات بزيارة الى البحرين الشهر الماضي لطرح سيارتين جديدتين في الاسواق البحرانية. وكانت شركة فورد الامريكية في قائمة الشركات المقاطعة من الدول العربية، ورفع الحظر عنها قبل بضع سنوات. ويتوقع رفع الحظر عن بقية الشركات الامريكية المتعاملة مع «اسرائيل». وكان الوفد الامريكي يقوم بجولة لدول ما يسمى مجلس التعاون الخليجي.

وعلى صعيد آخر منحت وحدة الدعم الاداري الامريكية شركة نفط البحرين (بابكو) لوحة تذكارية تقديرا منها للخدمات التي قدمتها وما تزال تقدمها بابكو لسفنها ومعداتها البحرية. وهذه الخطوة تدل على مدى سيطرة الامريكيين على البلاد ومؤسساتها الاقتصادية، ويتوقع ان يستمر التدخل الامريكي اكثر واكثر.

محاكمة مجموعة من الشباب

انعقدت محكمة «امن الدولة» في مطلع شهر سبتمبر لتوجيه التهم لعشرين مواطنا بالتهم المعروفة «توزيع منشورات والانتماء لتنظيم». ولا يخجل النظام من الاستمرار في نهجه القمعي في الوقت الذي يتجه فيه العالم من أجل المزيد من الحريات والانفتاح السياسي.

ومن هؤلاء الشباب صغار في السن زجوا في المعتقلات العام الماضي عندما كانت اعمارهم اقل من ١٨ سنة. ومن الذين مثلوا امام المحكمة الخليفية مايلي:

١ـ حسن عبد الله، جدحفص، ٢٣ سنة.
٢ـ سيد محمد الساري، سار، ٢٥ سنة.
٣ـ حسين عباس ابو صبعة، الديه، ١٩ سنة.
٤ـ علي موسى، النعيم، ٢٢ سنة.
٥ـ ناظم المؤمن، النعيم، ٢٢ سنة.
٦ـ حسن جاسم النشيط، النعيم، ١٨ سنة.
٧ـ علي رحمة، النعيم، ٢٠ سنة.
٨ـ صباح، النعيم، ٢١ سنة.

اعتقال شاب من السنابس

اعتقل الشهر الماضي شاب في الرابعة والعشرين من عمره اسمه عبد علي السقاي من السنابس بتهمة توزيع منشورات. وقد تعرض الشاب لتعذيب نفسي خلال فترة اعتقاله التي استمرت يوما كاملا وافرج عنه لاحقا، ولا يعلم ما سيؤول اليه امره خصوصا وان سلطات آل خليفة تمارس سياسة حني الرأس بوجه العاصفة ومن الممكن جدا أن تكتفي بجمع المعلومات عن الناس في الوقت الحاضر ليمكن الانتقام منهم لاحقا حين تتغير الظروف.

رئيس الوزراء هو الحاكم الفعلي

فيما يحتدم الصراع على السلطة في البلاد، اصبح من الواضح ان المعركة حسمت في الوقت الحاضر لصالح الجناح المتشدد الذي يتزعمه رئيس الوزراء، خليفة بن سلمان. ومنذ مرض الامير العام الماضي تراجعت سلطته كثيرا واصبح غير قادر على الامر او النهي من قريب او بعيد. ويحاول خليفة تشديد القبضة على البلاد وعدم ابداء اي نوع من التنازل للشعب بينما يخالفه ولي العهد، حمد بن عيسى قليلا في سياسته هذه، ولكنه غير قادر على عمل شيء للتأثير على العلاقات المتردية بين ابيه وعمه.

وتجدر الاشارة ان رئيس الوزراء يسيطر فعليا على جهاز المباحث وانه لا يقبل باي تغيير وزاري لان الوزراء الحاليين اعتادوا الانقياد له ولرغباته. كما انه معروف بممتلكاته الكثيرة ومنافسة المواطنين في ارزاقهم، حيث لا تكاد توجد عمارة كبيرة في البلاد الا وله نسبة فيها ولا تطرح مناقصة الا وتذهب لشركة يمتلك حصة كبيرة منها.

الصراع على «حوار»: هل تحتلها قطر بالقوة؟

احدث البيان الذي اصدرته وزارة الخارجية القطرية حول ما اسمته بتجاوزات بحرانية، ضجة اعلامية في الاوساط الخليجية عموما وفي اعلام البلدين بصورة خاصة واضاف مزيدا من التوتر في الاجواء الخليجية. وجاء هذا البيان بعد فترة وجيزة من اعلان البحرين عن دخول سفينة عسكرية قطرية المياه الاقليمية لدولة البحرين مما جعل الكثيرين يميلون الى الاستنتاج ان الحادثة الاخيرة مختلفة وليس لها اساس واقعي. وترى كثير من المصادر الخليجية ان اتباع قطر لسياسة الامر الواقع تعكس الى حد بعيد يأسها من حصول ما تنوي تحقيقه من خلال المحافل الدولية والمساعي الدبلوماسية. اذ من المستبعد، ان لم يكن من المستحيل، ان تحكم محكمة العدل الدولية في لاهاي، والتي رفعت لها قطر القضية في يوليو الماضي، ان تبت في ملكيتها للجزر المتنازع عليها خلافا لشواهد التاريخ والوثائق التاريخية المدونة وشهادات كبار السن من بحاري وغواصي المنطقة عموما والبحرين خصوصا. ويقول المعمرون من اهل الخليج ان اهل قطر لم يشتهروا بالغوص وصيد الاسماك خلافا لاهل البحرين الذين كانت هاتان المهنتان من اهم مصادر دخلهم اضافة الى الزراعة، حيث كانت البحرين جنة بمقاييس الخليج عموما، وخصوصا اذا ما قورنت بقطر التي كان يسكنها قلة اكثرهم من البدو لانعدام مصادر المياه الطبيعية كالامطار والانهار. واذا ما تحدثت لبعض المسنين، او حتى متوسطي السن، الذين كان البحر مجال عملهم فسوف يصفون لك بالتفصيل العائلات والاشخاص الذين كانوا يبحرون في هذه المناطق ويرتادون اكثر الجزر التي تظهر الى السطح اثناء الجزر.

وربما كانت هذه الحقائق اضافة الى خضوع الجزء الشمالي الغربي من قطر لحكام البحرين (فضلا عن شبه جزيرة قطر نفسها) فترة طويلة من الزمن هو الذي حدا ببريطانيا التي أخضعت المنطقة لسيطرتها في ان تبت بملكية هذه الجزر جميعا للبحرين. ولا يمكن فهم اتخاذ قطر قرار اللجوء الى محكمة العدل الدولية غير عزمها على تجميد مساعي البحرين في التنقيب عن النفط والغاز، اذ من المتوقع، اذا ما تناولتها المحكمة ان تستغرق فترة زمنية طويلة، وهذا يساعد ايضا في الضغط على زعماء الخليج في التوصل الى قرار تكون قطر هي المستفيدة مهما كانت نتائجه، اذ ستحصل على جزء ولو يسير مما ليس لها. والمعروف ان استخدام الارض او حتى البحر لفترة طويلة من الزمن كاف لاثبات الملكية اذا ما شهد بذلك الاهالي وهذا ما يعتمده الشرع الاسلامي في اثبات ملكية الارض واستغلال البحر، وهو متبع في كثير من البلاد العربية والاسلامية.

وطوال هذه الفترة التي طفح بها الخلاف الى السطح بالرغم من كل محاولات التكتم والتي كان هدفها عدم اظهار ضعف مجلس التعاون الخليجي لطبيعة الانظمة السائدة فيه، كان الاتهام والاتهام المضاد هو سمة البيانات الرسمية بين الحكومتين. لكنها تعدتها هذه المرة لتصل الى الاعلام الحكومي في البلدين من اذاعة وتلفزيون وصحافة، الى درجة اتهمت البحرين حكومة قطر بشراء اسلحة من جنوب افريقيا. ومن الطبيعي ان تتبنى وسائل الاعلام وجهة النظر الرسمية نظرا لخضوعها مباشرة لوزارة الاعلام. وفعلا اظهر النزاع ضعفها وعدم استقلاليتها. الا ان الخلاف وطرحه بالصورة التي نشاهد اعتبر تحديا مباشرة لطبيعة الانظمة السياسية في الخليج وعدم قدرتها على تخطي مشكلة من هذا النوع، كما اعتبر تحديا حقيقيا لأطروحة مجلس التعاون الخليجي الذي يضمها جميعا. فمنذ نشأته قبل ما يزيد على عقد من الزمن كانت مشاكل الحدود بين البلدان الخليجية هي احد الهموم الكبرى التي تصدرت اجتماعاته. ووصل الامر الى تشكيل لجنة خليجية للبت في المشاكل بين دوله. الا ان طبيعة الانظمة السياسية القبلية والعائلية، والمشاكل الحدودية بين جميع بلدانه التي تشترك في حدود برية او مياه اقليمية تحول دون نجاح اي وساطة من هذا القبيل.

واذا اخذنا السعودية مثالا للوساطة بين البحرين وقطر يتضح ما نقول. فالعائلة السعودية يهمها في المقام الاول ان تظهر امام بقية العوائل الحاكمة في الخليج وكذلك امام الرأي العام العربي والعالمي بانها قادرة على البت في المشاكل الخليجية بطريقة بدوية واخوية. وحتى لو افترضنا ان حكام السعودية مخلصون في ما يدعون فان وجود مشاكل حدودية شائكة بينهم وبين البلدين المتخاصمين يجعل اي وساطة غير قادرة على تحقيق الهدف. فالسعودية لها مشاكل حدودية مع جميع الدول العربية المحادية لها وهي عمان وقطر والامارات والكويت والعراق والبحرين واليمن. وبالفعل اقتطعت اراضي واسعة من شبه جزيرة قطر وهي تتحكم في المياه الاقليمية بينها والبحرين وتدير شؤون ابو سعفة المشترك بينهما، وهي ايضا، ولو في الخفاء، تعارض مساعي البحرين للتنقيب عن النفط في هذه المياه لاسباب عديدة منها خشيتها من نفوذها الثقافي والفكري الذي يحمله اهلها. وفي حين استطاعت كثير من دول العالم التغلب على المشاكل الحدودية وايجاد حلول لها ومن ذلك مشاكل بين دول اوروبية رأسمالية واشتراكية (قبل التغييرات في اوروبا الشرقية) عجز حكام الخليج عن الوصول الى حلول مشابهة في صورة اتفاقيات تفصيلية ومدونة. وهذا الوضع ليس غريبا. اذ ان القرار السياسي محصور في بضعة افراد من العوائل الحاكمة والذي تسيطر عليهم العقلية القبلية التي قد تتنازل عن الكبير وقد تقيم الدنيا لاتفه الامور. فغياب المجالس النيابية او اي صورة من صور التمثيل الشعبي في اتخاذ القرار السياسي ساهم الى حد كبير في هذا الفشل. واذا كان لهذه السياسة حسنات تذكر فهي التعتيم على الخلافات واخفاؤها عن الشعوب. وفعلا حققوا نجاحا في هذا المجال.

حتى ان كثيرا من هذه الخلافات تظهر في وسائل الاعلام الغربية ووسائل اعلام المعارضة لتنتشر تدريجيا الى الداخل وهو ما ساهم الى حد كبير في فقدان الاعلام المحلي مصداقيته في التعامل مع القضايا

البقية على صفحة ٣

حين تنبت شجرة الحرية

السلام على القابعين في الزنزانات، يقضون ايامهم ولياليهم بين جدران اربعة هي المساحة التي يتفضل عليهم الطاغية ليعيشوا فيها، وهي مساحة لا تتسع لبهيمة سائمة ولا تصلح لشر انواع الحيوان واوطأها.

السلام على المشردين من ديارهم، ليس معهم زاد سوى التقوى والا ذكريات من الاطلال يستنشقون الامل منها ويرفضون ان يساوموا عليها او يعتذروا مرتهنة بايدي الجلادين.

السلام على الذين استشهدوا بمضاجع السجانين، فارتفعت ارواحهم الى السماء تشكو الى رب العباد ما انتابها من ظلم وتعذيب، وبقيت اجسادهم شاهدة على الارهاب الخليفي والقمع المستمر والخبرات الغربية التي جاءت الى البلاد لحفظ الامن.

السلام على المتسكعين في الشوارع يبحثون عن عمل وضيع وهم يحملون الشهادات العليا والكفاءات المتميزة لسبب واحد هو انهم رفضوا ان يوقعوا على قرار اعدام كرامتهم. واصروا على الاستمرار في طريق الانبياء غير مبالين ببطش الجبابرة والظالمين.

السلام على المسجونين في السجن الكبير، بلا هوية ولا جواز سفر ولا مأمن في الليل او النهار حيث اعين الجلاوزة تراقب حركاتهم وسكناتهم وتعتبر انخراطهم في عمل مشرف خطرا يهدد امن العائلة الحاكمة واستقرارها.

السلام على الآباء والامهات وهم يعيشون المحنة ويستلهمون دروس الصبر على البلاد من ائمتهم وقادتهم ومن سبقهم بإحسان الى يوم القيامة.

الى كل اولئك نهدي السلام والتحية ونقول لهم: طوبى لكم وحسن مآب. فانتم الذين صنعتم تاريخ هذه الأمة بتضحياتكم، فانتم المنتصرون على الطواغيت والظالمين، وانتم الذين كتبت لكم العاقبة الحسنة والمنقلب السعيد.

نشكركم لانكم صنعتم المستحيل، وجعلتم الظالمين رموزا للبلاء والشر، وافهمتم العالم ان فساد الدنيا بسبب هؤلاء الذين لا يقيمون للانسان وزنا ولا يحترمون البشر ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

تعالوا نتحاسب: فلكل منا ان يسأل الآخر عما انجزه في سبيل تحقيق العدل والسلام والاستقرار في البلاد. والنتيجة التي سنصل اليها ونحن نشاهد التاريخ يتحرك سريعا نحو القضاء على الاستبداد والقمع هي ان هؤلاء جميعا هم الذين عبدوا الدرب لحركة التاريخ واعطوا من دمائهم ووجودهم ما جعل نار الثورة متقدة ودفعت بالظالمين الى الزاوية الضيقة التي تكاد تطبق عليهم فلا يستطيعون ردها.

اننا على ابواب الحصاد... هذا ما تقوله الشواهد، وهذا ما تشير اليه حركة الامور، والحصاد ليس ماديا كما قد يعتقد البعض، لكنه على الاقل الوصول الى وضع جديد يعترف فيه العالم بحقنا في الحياة كشعب له قيمته وحقوقه البشرية وعمقه الانساني.

وتطورات الامور في منطقتنا وما تنطوي عليه إنما هي الزحف الواثق نحو الفجر الآتي والغد المشرق. فاذا كان امسنا داميا، فان يومنا واعد، وغدنا معطاء.

لن يجد الجلاد امامه منفسحا من الوقت للهروب. فاذا جلت ساعة القصاص فسوف يعض على يديه اسفا ويقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. وهؤلاء الرسائيون احياء يحملون رسالتهم في قلوبهم ويضعون ارواحهم على اكفهم ويتحركون لتحقيق اهدافهم. فاذا هم شهداء يعيشون في اعلى عليين، واذا هم منتصرون يتبادلون التهاني فرحا وغبطة.

وهذا الطاغية... اما ان له الرحيل بعد ان استسلم كل الطغاة في هذا العالم؟ ام ان ولعه بالدماء يمنعه من الاعتراف بالواقع الجديد ويدفعه لارتكاب الفجور والاثم والقتل؟ انه مزيج من هذا وذاك. ولكن الامر المؤكد هو ان التاريخ لا يرحم وحركة الدهر لا تتوقف ورجال الحق لا يخسرون. والثقة تدفعنا لإعلان الانتصار الحاسم على قوى الظلم والاستبداد في جزرنا الصغيرة، ولكننا لن ننشدق بهذا الانتصار، بل سنحمد الله عليه ونشكره الشكر الجزيل بالصلاة والدعاء والطاعة، حينها سينكص الشيطان على عقبيه ويرتد على دبره ويتجاوزه الزمن فيبقى خامد الذكر سيء الصيت.

في غمرة الاحداث لا نملك ان نتوقف، فالتوقف خيانة والارتداد بوجه العدو جبن والتنازل عن الحق هزيمة، ونحن نحن الصامدون ايام الشدة والفتنة، ما زال جلدنا يقوى على التحمل والصبر والعطاء، وما زال بصرنا ممتدا الى السماء. ورغم الجدب والضمور، ستنبت في الوطن السجين شجرة حمراء شاهقة خضبتها دماء الشهداء وروتها دموع الارامل والمحرومين، حينها ستعرف ايها المكبل بالحديد معنى الحرية.

منطق القبيلة ومنطق العصر

التغيير هو الحقيقة الثابتة في الحياة. هذا هو ملخص ما يجري في العالم اليوم. واذا كان التغيير هو الوجه البارز في الاحداث، فان الوجه الآخر لعملية التغيير هو الاختلاف. الاختلاف بين الاتجاهات في المواقف والافكار والاهداف والسلوكيات. واساليب حل الاختلاف تتعدد وتتنوع حسب التركيبة السياسية الحاكمة، والمنطق الذي تعتمد عليه وتستمد منه شرعيتها.

فالشرعية في منطق البادية تكون مع من تغلّب على غيره بالقوة وسيطر على ممتلكات الاخرين. ولذلك فان على الآخرين الذين بقوا بعد تغلب القبيلة عليهم ان يعلنوا تمجيدهم وشكرهم ومدحهم لزعيم القبيلة الذي لوشاء لاباد هم كما اباد اسلافهم. وعلى الجميع ان يقرّ ويعلن ان الكلمة الحاسمة في جميع الامور مهما صغرت او كبرت هي بيد رئيس القبيلة، وعلى كل من يريد ان يعيش امنا ان يسبّح بحمده ويصفق لسياسته الرشيدة.

وهذا المفهوم غير الانساني للحكم هو بالذات ما يوجه سياسات الحكم في الخليج. فقبيلة آل خليفة في البحرين لا يمكنها ان تواكب الاحداث وتتطور مع الزمن، لان مواكبة العصر تعني امرا جوهريا بالنسبة لهم، وهو التخلي عن منطق «الحق من خلال القوة»، وسيطرة «العائلة الكريمة» على جميع اجهزة الدولة والسماح «للرعايا» باتخاذ قرار في شأن من شؤونهم. كل ذلك لا يمكن ان يتعايش ومنطق القبيلة.

وعندما حاول آل خليفة عصرنة انفسهم وسمحوا بانتخابات حرة عام ١٩٧٢ و١٩٧٣، وجدوا انفسهم عاجزين عن الاستجابة للمطالب الشعبية، ولذلك لجأ زعيم القبيلة لحل البرلمان واعادة الحياة الى مجاريها

الصراع على حوار ـ البقية ـ

المحلية. الا ان هذه الخلافات وغيرها سرعان ما تنفجر لتشكل احراجا لهذه الحكومات. وبلغت الخلافات الاخيرة ذروتها من خلال طبيعة الاتهامات المتبادلة، وهذه هي المرة الاولى التي تعلن فيها البحرين فشل المساعي السعودية في الوصول الى حل مما احرج آل سعود وعلى رأسهم الملك فهد، وهذا يعكس الى حد ما مدى الازمة التي تهدد مجلس التعاون. وكانت هذه المشكلة ومثيلاتها تستهلك جلّ اجتماعات الوزراء والحكام بالرغم من عدم شمولها في البيانات الختامية. ففي مؤتمر القمة الخليجية الماضية في الدوحة فرض الخلاف البحراني ـ القطري نفسه على الاجتماع بالرغم من الانشغال بالازمة الناتجة عن الاحتلال العراقي للكويت. ولعل احدى الصعاب التي تعيق المجلس هي قيادة السعودية له كونها الاكبر مساحة وسكانا ودخلا ماليا. لكنها في الوقت ذاته الاكثر تخلفا والاقل رغبة في احداث تغيير سياسي في اتجاه الحريات الشخصية والسياسية وحقوق الانسان والانفتاح على العالم. وهمومها ومساعيها لا تنحصر في تجميد اي تقدم في هذا السبيل في السعودية ذاتها بل انها تقف حجر عثرة امام اي من الدول الاخرى في احداث اي تغيير. فهي كانت، احد العوامل الرئيسية في حل مجلس الامة الكويتي وكذلك حل المجلس الوطني في البحرين لتقديرها ان هذه المشاركة الشعبية تسبب احراجا لها امام شعوب الخليج ودول العالم كما تضعها في مأزق امام شعبها.

الوضع بين البلدين يسوده التوتر بسبب المناوشات التي حصلت عسكريا ولكن هل يقدم آل ثاني على استخدام القوة واحتلال جزر حوار عسكريا كما فعلوا في الانزال العسكري على فشت الديبل؟ من الصعب التكهن بذلك. ولكن ليس غريبا ان يقدموا على فعل من هذا النوع خاصة وان كل شيء في غير صالحهم سوى تفوقهم العسكري وسهولة اتخاذهم لهذا القرار، الذي ينحصر في الحاكم نفسه وابنه الذي هو ولي عهده. واذا كانوا يحملون نوايا من هذا النوع فان الفترة من الآن حتى عقد القمة القادمة في الكويت هي الاكثر ترشحا لذلك.

البدوية. واذا كانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم تتم من خلال «الفداوية» (الشرطة المسلحة) فان التطور التكنولوجي الحديث سمح للقبيلة بان تطور هذا الاسلوب الى اجهزة المخابرات والامن التي تسهر لحماية القبيلة من الخطر. والخطر في قاموس القبيلة عرفه «قانون امن الدولة» لعام ١٩٧٤ بانه يأتي من «كل شخص اتى من الاقوال والافعال» نعم الاقوال ايضا. فكل من تحدثه نفسه ان «يقول» شيئا ما عن فساد القبيلة او عن الظلم القائم او عن انعدام الحريات، فانه خطر على امن «الدولة» اي القبيلة، وبالتالي فهو يعرض نفسه للسجن ثلاث سنوات دون محاكمة ويعرض نفسه للتعذيب والمعاملة القاسية.

وبالرغم من هذا المنطق المتخلف الذي يرفضه المنطق البشري والذوق الانساني، الا أنه يبقى مستمرا في منطقتنا بسبب الدعم الاجنبي. والمخابرات في البحرين اسسها البريطانيون عام ١٩٥٧ وادارتها ويديرونها حتى اليوم. والبريطانيون هم الذين ضمنوا الامن الخارجي لآل خليفة في الماضي والامريكان اليوم هم الذين يحافظون عليه. وهذا ما حدى برئيس الوزراء خليفة بن سلمان آل خليفة ان يقول للوفد الذي زاره بعد تحرير الكويت ليذكره بوعوده خلال الازمة لاعادة الحياة النيابية «نحن اليوم اقوى من الامس». نعم فمتى ما استمر الشعور بالقوة والحماية فان منطق البادية هو المنتصر.

وخليفة ذاته معروف عنه امر آخر، فهو يشعر بالفخر انه استطاع ان يشتري المعارضين لآل خليفة في الخمسينات والستينات بان عرض على رموز المعارضة العودة الى البلاد وتسلم مناصب عالية ومعاشات مريحة والتخلي عن معارضة القبيلة. وهذا طبعا يتمشى مع المفهوم البدوي الذي يسعى للسيطرة عبر القوة او شراء الضمائر. وفعلا انتصرت القبيلة عندما وافق اولئك الذين عارضوا النظام على تسنم المناصب والتنكر لماضيهم ومساندة الحاكمين وغلبوا بذلك المصالح الشخصية على المبادىء. فهؤلاء هم الذين يحافظون على مصالح القبيلة الآن لان زوالها يعتبر زوالا لمصالحهم الشخصية.

واليوم حيث تهب الرياح التغييرية انحاء العالم، وينفضح الوجه القمعي للنظام وممارسته الحاطة بالكرامة الانسانية، يعود السؤال مرة اخرى: هل سوف تتغير التركيبة السياسية؟

الشواهد المذكورة اعلاه توضح ما قد يسلكه النظام، وهو استعداده لسلوك اي طريق واتخاذ اي وسيلة من اجل الحفاظ على الهيمنة القبلية على البلاد والعباد.

الا اننا نعتقد بان ما يحدث في العالم اليوم والتغير النوعي في وعي الشعوب بسبب تطور وسائل الاتصال الجماهيري وتكنولوجيا المعلومات سوف يعقد الامر على القبيلة. ونعتقد ان الحد الادنى الذي قد تقبل به المعارضة هو اجراء انتخابات برلمانية حرة واطلاق سراح المعتقلين السياسيين واعادة المبعدين واطلاق الحريات الصحافية وحرية التجمعات والجمعيات والنقابات والعمل الشعبي، ومحاسبة المسؤولين عن المظالم التي ارتكبتها المخابرات والاجهزة الاخرى.

الدور السعودي في الخليج.. هل اشرف على النهاية؟

ماذا تريد السعودية من الخليج؟ لقد فشلت فشلا ذريعا في ازمة الكويت بعد الاحتلال العراقي حيث وقفت مكتوفة الايدي امام التحدي العراقي واستنجدت بالاجانب لحمايتها وتحرير الكويت للحفاظ على ماء وجه مجلس التعاون الخليجي. وفي هذه العملية خسرت السعودية كل ما كانت تحظى به من تعاطف ودعم من قبل بعض الحركات الاسلامية، وذهب ما صرفته من اموال طوال اكثر من خمسة عشر عاما ادراج الرياح، وفشل اعلامها الذي بذلت عليه ملايين الدولارات في التأثير على الرأي العام العربي الذي استاء كثيرا لاستدعاء القوات الاجنبية الى منطقة الخليج.

فهل هذا الفشل السياسي الكبير هو الذي جعل السعودي تتخبط في سياساتها الخليجية، ام أن ذلك الفشل اضعف الموقف السعودي الى الدرجة التي اصبحت معها غير قادرة على التأثير في مجريات الامور الخليجية؟ ايا كان الامر فان ما هو واضح هو ان زمام الامور قد فلت من أيدي آل سعود على مستوى العلاقات الخليجية، وحتى داخل السعودية نفسها. وليس ادل على ضعف الموقف السعودي من الخلاف بين البحرين وقطر حول بعض الجزر وفي مقدمتها جزيرة حوار. فهذه الجزيرة تابعة للبحرين منذ القرن الماضي، ولم يحدث قط ان وضع آل ثاني يدهم عليها، وبالتالي فليس لهم حق فيها.

حين عبرت حكومة البحرين عن استيائها لفشل اللجنة الثلاثية (السعودية وقطر والبحرين) المكلفة بحل الخلافات البحراني ـ القطري واعتبرت رفع القضية الى محكمة العدل الدولية في لاهاي من قبل قطر اعتبرت السعودية البيان البحراني نقدا مباشرا للملك فهد بن عبد العزيز نفسه واتخذت موقفا منحازا لآل ثاني. فبقي الخلاف قائما واصبح يتصاعد شيئا فشيئا. وقد أثبتت السعودية عجزها الكامل عن التوسط في القضية وحصر الخلاف داخل البيت الخليجي، وبالتالي فان موقعها الاقليمي اخذ في الاضمحلال والتلاشي.

الامير سعود الفيصل، وزير خارجية السعودية، زار الشهر الماضي كلاً من قطر والبحرين محاولا تقريب وجهات النظر، ولكنه فشل فشلا ذريعا في مهمته بسبب تمسك آل ثاني بمطالبتهم بجزيرة حوار والاستمرار في متابعة القضية مع محكمة لاهاي. هذه المبادرة السعودية التي لم يرشح شيء مما انطوت عليه هي الفرصة الاخيرة للدبلوماسية السعودية في الخليج، خصوصا وان الخلافات بين السعودية والكويت قائمة وكذلك الخلافات مع عمان. في خضم هذه الخلافات ليس هناك مجال لاستعادة المصداقية السعودية وبالخصوص سمعة الملك فهد الذي يحرص على اظهار اسمه بمناسبة او بدون مناسبة. كما ان السعودية تواجه تركيزا اعلاميا من قبل المنظمات الدولية المهتمة بحقوق الانسان والديمقراطية وتضغط من جانبها على الكويت والبحرين لكي لا يكون هناك مجال لاي انفتاح سياسي بحجم تطلعات ابناء الخليج. انها بداية النهاية للنفوذ السعودي في الخليج وربما آن الاوان لتغيير سياسي جوهري في المنطقة.

الغزو الثقافي الامريكي (٢)

ظاهرة «التأمرك» الثقافي في البحرين مستمرة، كما ذكرنا في العدد السابق، ولا يقتصر الوجود العسكري على ابعاده السياسية، بل تنعكس آثاره على الوضع الاجتماعي العام، فتكون له آثار اخلاقية سلبية تتعمق بمرور الزمن. والغزو الثقافي الامريكي لمنطقة الخليج مرشح ان يصبح ظاهرة متميزة تفوق في آثارها وابعادها الوجود العسكري والسياسي. وحكومات المنطقة تدرك ذلك جيدا وتشجعه بحذر ضمن سياسات هادئة بعيدة المدى. والا فما معنى اضطهاد الدعاة الاسلاميين في الوقت الذي تفتح فيه كل الابواب للنشاط الثقافي الامريكي؟ وإذا كان وجود الارسالية الامريكية في البلاد عنوانا للتأثير الامريكي المباشر في البلاد، وعامل تشجيع لعملية التنصير من جهة والافساد الاخلاقي من جهة اخرى، فان الظواهر التي صاحبت الوجود العسكري الامريكي المترتب على التدخل العسكري لتحرير الكويت اصبحت تقلق من يهمهم الامر من علماء البلاد.

ولكي تتضح الصورة اكثر، لا بد من اعطاء امثلة واضحة من واقع البلاد اليوم. فمحطة الاخبار التليفزيونية المعروفة(nnc) كانت حتى بضعة اشهر مضت تبث برامجها عبر اسلاك الاتصالات الخاصة ولا يستطيع التقاط بثها الا المشتركون فيها. ولكن منذ حرب تحرير الكويت، اصبحت هذه المحطة تبث من خلال وسائل البث الرسمية، وبذلك اضيفت محطة جديدة مجانية على شاشة التلفزيون في كل بيت، ولم يعد استلام بثها مقتصرا على المشتركين رسميا فيها. فماذا تبث هذه المحطة، إضافة الى الاخبار المستمرة؟

من بين البرامج التي تعرضها محطة(nnc) للمشاهدين برامج عرض الازياء الامريكية. وبالتاكيد فان لهذا البرنامج اثره المباشر على العادات المحلية، ويعتبر تأثيرا مباشرا على العقلية المحافظة في البلاد، خصوصا إذا علمنا بأن الازياء الامريكية لا تراعي فيها جوانب العفة والحجاب. وليس بعيدا ان نتوقع تأثر فتيات البحرين بالازياء الامريكية الفاضحة وما لذلك من أثر مباشر على الالتزام الاخلاقي والديني.

كما تعرض المحطة برامج عن السياحة العالمية، ولا تمارس رقابة ذاتية على المشاهد التي تعرض لتشجيع الناس على السفر الى البلاد الاوربية وغيرها. ونشير هنا خصوصا الى مشاهد السباحة في المصائف والسواحل اليونانية وغيرها حيث تظهر النساء عاريات تماما. وإذا كانت هذه المشاهد اصبحت مقبولة في المجتمعات الغربية فانها ليست كذلك في المجتمعات الخليجية المحافظة، فلقد غزت هذه المشاهد كل البيوت ويُخشى ان يؤدي استمرارها الى تغير ذوق المسلم حتى يصبح معتادا عليها.

وتبث كذلك عرضا اسبوعيا للافلام الجديدة في عالم السينما وبالخصوص افلام هوليوود. ولا تخلو هذه الافلام عادة من مشاهد جنسية لا يجد المشرفون على المحطة ضرورة لاخفائها، بل يسعون لتشجيعها تدريجيا. كما ان دعايات الخمور التي تملأ شاشات التلفزيون اصبحت امرا معتادا. فكأن ذلك كله إنما اريد منه التأثير المباشر على معنويات المسلمين ونفسياتهم لكي يكون تأثير الاسلام عليهم ضعيفا. فقوة الاسلام في نفوس الناس هو الذي يمنعهم من الخضوع لشهوات الشيطان ومنها الخمر والفحشاء.

ان هذه الظواهر اصبحت معتادة، في الوقت الذي لا تستطيع فيه امكانات البلاد الفنية والمادية مواجهة هذا الغزو الثقافي الامريكي الهائل. وفي الوقت نفسه فان استمرار الضغط على العلماء والمثقفين ومنعهم عن ممارسة التبليغ والدعوة الى الله يترك المجال واسعا للغزو الثقافي الامريكي ويجعل عملية التغريب قوية وبدون مواجهة. وماذا عسى ان تفعل نصيحة عابرة في مسجد لا يؤمه الا القلة من الناس امام مشروع مخطط تدعمه الاموال الطائلة والخبرات التكنولوجية المتطورة، وينشر الترفيه الماجن ويشجع المظاهر المتحررة من القيود الدينية والقيم الاسلامية. ويبدو ان هذا هو الثمن المطلوب ان تدفعه حكومة آل خليفة في مقابل الوجود الامريكي والحماية غير المحدودة من الولايات المتحدة الامريكية.

وهكذا يصبح الوجود العسكري والسياسي الامريكي في البلاد مدخلا للوجود الثقافي الهائل، ولا يستطيع احد التقليل من اهمية هذا الوجود وآثاره البعيدة خصوصا على مجتمع محافظ كمجتمع البحرين. واذا كان ذلك بهدف تقليص الاثر الديني في نفوس الناس، فان ذلك الهدف قد يتحقق في المدى القصير، ولكن هوية البلاد ستبقى اسلامية، وسيظل الطابع الديني هو الذي يميز شخصيتها فالاصل هو حب الاسلام في نفوس المواطنين، اما العوارض فتأتي وتذهب بدون ان تترك اثرا يذكر على صعيد الهوية والانتماء الحضاري.

هموم في خليج المحن

يموت القلب غيظا من مآسينا ... وتغرق في مدامعها مآقينا
ويبكي دهرنا حزنا لطالعنا ... ويأبى الطير أن يشدو بوادينا
وتنهل في خمائلنا ورود ... يغيض الماء من مجرى سواقينا
يتيه المرء في أحوال أمتنا ... ويقعد الناس حيرى في مواديها
لماذا دهرنا يختال حاضرنا ... لماذا لا نعي أمجاد ماضينا
لماذا ليلنا يرخي يكلكله ... لماذا هيجنا يبكي لياليا
لماذا الأرض تأبى أن تعانقنا ... لماذا الحب يرقص أن يدانينا
سئمنا من عناء لا يفارقنا ... سئمنا من حياة لا تراعينا
فكل الناس قد نالوا تحررهم ... وما زالت مغللة أيادينا
شباب في سجون الظلم ما برحوا ... دعاة في بلادي مستوقفينا
وكانوا رمز عزتنا أباة ... وأبطالا يخوضون المآقينا
أبوا أن يقبلوا في الحكم عائلة ... سئمنا العيش من إرهابها فينا
أبت أن يصبح الانصاف منهجها ... ودقت بين كل الناس إسفينا
وصلت في سياستها كثيرا ... وأهدتنا لأمريكا ترابينا
تساوم بالبلاد ولا تبالي ... قواعدنا تملكها أعادينا
ويطمع في جزائرنا أناس ... عدتهم ستينا من أهالينا
وقد كان التمني بعد حرب ... لظاها كاد ينسينا أمانينا
بأن يبقى الخليج بلا حروب ... ويغدو الأمن شأناً في ترابينا
ولكن البداوة قد تعالت ... لتسلبنا دحوارا من أراضينا
فما معنى الأخوّة عند قوم ... بسيفهم يقدّون القوانينا
ستبقى أرضنا البحرين عشا ... بلا خوف ولن نخشى السلاطينا

وحدة الدعم الادارى الأمريكية تمنح بابكو لوحة تذكارية

الاصلاح السياسي المطلوب ـ البقية ـ

وفي خضم هذا البحر السياسي المتلاطم، لن يجد حكام الخليج مجالا للتهرب من المسؤولية المفروضة عليهم حسب منطق التاريخ وهي وضع نهاية لاستبداد القبيلة، واعطاء قدر مقبول من الحقوق للناس. وفي هذا المجال سيجد الحاكمون ان الاسراع في الاصلاح السياسي هو الطريق الاقصر لحماية مصالحهم من جهة وحماية البلاد من خطر الاختناق السياسي من جهة اخرى. ولن يجديهم ان يتعاملوا مع المعارضين السياسيين من منطق الاستعلاء والتجريم، كان يطلبوا منهم تعهدات مكتوبة مثلا او ان يقبلوا بعفو عام والتغاضي عن الاسباب التي ادت الى التوتر السياسي بدءا الامر وفي مقدمتها حالة الاستبداد القبلي وتعليق العمل الدستوري وتطبيق احكام الطوارىء والامعان في العمل بقانون امن الدولة السيء الصيت. فحركة المعارضة قد بلغت حد الرشد، وتستطيع الاستمرار في مواقفها المعارضة التي يدعمها فيها كل المواثيق الدولية والانظمة التي تحكم علاقات الحاكم بالمحكومين طبقا لانظمة حقوق الانسان وغيرها. فالمعارضة لن تستسلم لوعود براقة ولن تتنازل عن حقوقها في ايجاد حياة جديدة ذات نمط جديد من التعامل يتمثل باحترام حقوق الانسان وصياغة العلاقة بين التراجع عن الاصلاح.

نقول هذا ونحن واثقون ان دروس الاعوام القليلة الماضية ما تزال غائبة عن ذهنيات اصحاب القرار السياسي وان السلطة الحقيقية في بلداننا ما تزال للجهات الامنية التي يديرها الاجانب ونتمنى ان نكون هذه المرة مخطئين في تصوراتنا، فيصدر عن السلطات العليا في البحرين وبقية دول الخليج ميثاق وطني يعيد للشعب كرامته ويحدد العلاقة بين المواطنين والحكومة ويحشد طاقات الناس باتجاه تقوية الجبهة الداخلية لمواجهة التحديات الخارجية التي تشكل الاستفزازات القطرية اهمها في الوقت الحاضر. واهم نقطة في هذا المجال هي ان تعي الحكومة الخليفية ان الشعب لن يستجدي حقوقه بل سيأخذها كاملة غير منقوصة طال الزمن ام قصر. والاوضاع الاقليمية والدولية كفيلة بتوفير الفرصة لذلك في غضون فترة قصيرة نسبيا.